

الحلقة الخمسون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تأملنا في اللقاء السابق بعدد من الأمثال التي تناولت موضوع شرب الخمر والمسكر. وكيف أن هذه الأمثال تحذّر من الإدمان على شرب الخمر والسكر، وتكشف عن العواقب الوخيمة له. وتبين لنا أن الكتاب المقدس يحذّرنا بشدة من الإدمان على شرب الخمر والسكر.

ما هي أهم الصفات الحميدة التي يجب أن نجدها عند الرجل؟ قد تجيب مستمعي الأمانة، الصدق، الإخلاص، الكرم، الشهامة، الصيت الحسن. وغيرها مثل الابتعاد عن الخصام، والمسامحة والغفران، ومساعدة الآخرين عند الحاجة. ولقد تحدّث سليمان الحكيم عن معظم هذه الصفات في أمثاله. وسنتناول بعضاً منها في لقاء اليوم.

كتب الحكيم هذا المثل قائلاً: "مجد الرجل أن يبتعد عن الخصام وكل أحرق يُنازع." (أمثال ٢٠: ٣) إن من أهم الصفات الحميدة للرجل أن يبتعد قدر الإمكان عن الخصام. والسبب لأن الخصام يحط من عزائمه، ويبعده عن التفكير الصائب السليم، ويشوّه سمعته أمام الآخرين. ولهذا من الأفضل له أن يحاول حلّ الخلافات والإشكالات قبل أن تصل إلى حالة الخصام. أي عليه أن يتنازل عن بعض حقوقه في سبيل التفاهم والوئام.

وفي المقابل إن الرجل الذي يحب الخصام والنزاع يُعتبر بحسب هذا المثل رجلاً أحمقاً. لأنه لا يحسب عواقب هذا النزاع التي ستقلب حياته إلى جحيم مستمر، ويشوّه سمعته أمام الآخرين. وكما يقول المثل العربي: الحقد أعمى. فعندما يستولي الخصام على تفكيرنا، ينمو الحقد في قلوبنا تجاه الشخص الآخر. وعندها لا نستطيع أن نجد فيه أي شيء صالح أو إيجابي، بل يصبح مليئاً بالعيوب والسلبية. فهل تسعى مستمعي لكي تبتعد عن الخصام والنزاع قدر الإمكان؟

وفي مثل آخر عن نفس الموضوع كتب سليمان الحكيم قائلاً: "أكثر الناس ينادون كل واحد بصلاحه أما الرجل الأمين فمن يجده". (أمثال ٦:٢٠) أجل إن كل إنسان لا بد أن يفخر بصلاحه، وأنه رجل صادق ومخلص وأمين. فلا أحد ينظر إلى نفسه بروح الانتقاد أو بشكل سلبي. لكن الحقيقة هي أن جميعنا كبشر رجالاً كنا أم نساء خطاة ومقصرون، ومن الصعب جداً أن نجد الرجل الأمين الصادق في جميع أعماله وطرقه وفي كل الأوقات.

ولهذا عاد الحكيم ليكتب هذا المثل قائلاً: "من يقول إني زكيتُ قلبي تطهّرتُ من خطيبي". (أمثال ٩:٢٠) فلا يستطيع أحد الإدعاء أنه نقي قلبه وتطهّر من خطيئته، لأن هذا الأمر لا يقوم به الإنسان. فإن لم ينقي الله القلب، وإن لم يطهّر الله الخطيئة، لا بد أن يبقى الإنسان أسيراً لقلبه الفاسد، وعبداً لخطاياها. لكن السؤال هل ترك الله الإنسان وحده دون أن يضع في قلبه رادعاً يكشف له مكامن الخطأ في حياته؟

أجابنا سليمان الحكيم بهذا المثل قائلاً: "نفس الإنسان سراج الرب يفتش كل مخادع البطن". (أمثال ٢٧:٢٠) فما هو المقصود هنا بنفس الإنسان؟ إن المقصود هنا بنفس الإنسان هو الضمير الذي وضعه الله تعالى في نفوسنا وأذهاننا. فهذا الضمير هو الذي يفحص قلوبنا ويكشف لنا الخطأ من الصواب. ولهذا يعلم المرء منذ صغره أن الكذب مثلاً هو أمر خاطئ، وأن الصدق هو أمر صحيح. لكن المشكلة أن الكثيرين وبسبب استمرارهم في طريق الخطأ، لا يعودون يستمعون إلى صوت ضميرهم. لا بل إن استمرارهم في عدم السماع يجعل ضمائرهم ميتة في نفوسهم. فهل تستمع مستمعي إلى صوت الضمير في داخلك؟ أم تترك تتجاهله باستمرار؟

تحدّث الرسول بولس عن موضوع الضمير فكتب قائلاً: "لأنه الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم الذين يظهرون عمل الناموس مكتوباً في قلوبهم شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة. في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي بيسوع المسيح". (رومية ٢: ١٤-١٦)

كما هو معروف فقد أعطى الله قديماً شريعته أو ناموسه إلى بني إسرائيل فقط. ويقول الرسول بولس هنا، أن الله لم يترك الشعوب الأخرى بدون أية شريعة، بل قد وضع الضمير في قلوبهم جميعاً، لكي يستطيعوا أن يميزوا بين الخير والشر. ولهذا لا

يستطيع الإنسان وفي أي عصر وُجد، أن يدّعي أن الله لم يعلن طريقه له، أو أن الله لم يعطه القدرة على التمييز بين الخير والشر. لأن الله قد كشف لكل إنسان وبواسطة الضمير كل ما يساعده على الابتعاد عن طرق الشر، والسلوك في الطريق القويم. ولهذا إن الله سيدين الإنسان في يوم الدينونة على أساس الضمير الذي وضعه في قلبه، والذي لم يستطع السلوك على ضوئه. لأن لا أحد يقدر بقوته هو أن يسلك بحسب الضمير، لأننا جميعاً مستعدون للخطية، ولا نستطيع التحرر منها بقوتنا الخاصة.

فهل تراك صديقي تعلم هذه الحقائق الهامة؟ أن الله هو الذي وضع الضمير في ذهنك وفي قلبك؟ وهل تعيش في أحيان كثيرة صراعاً بين ضميرك وما يحاول جسدك المستعد للخطية أن يقوم به؟ وهل تشعر أن الخطية غالباً هي التي تنتصر في هذا الصراع؟ لكن والشكر لله، فقد أرسل الله المخلص المسيح لكي يموت كفارة على الصليب من أجل خطايانا، وليقيمه من بين الأموات غالباً منتصراً. وذلك لكي يمنح كل من يؤمن به ليس الغفران عن خطاياه فحسب، بل التحرر من عبودية الخطية والقدرة على السلوك القويم.

مستمعي الكريم، لقد عمل الله كل شيء لكي يعود بالإنسان إلى العلاقة الروحية معه. فوضع أولاً الضمير في داخله، ثم هياً له الخلاص بواسطة المخلص المسيح. أي أن الله عمل كل شيء من ناحيته لكي يهب للإنسان الخلاص الكامل. لكن ما على الإنسان إلا أن يتجاوب أولاً مع صوت الضمير، وثم أن يقبل خلاص الله الذي أعلن له بواسطة المخلص المسيح. وهكذا ينال الغفران عن خطاياه وينجو من دينونة الله الأبدية. فهل تراك مستمعي تتوب عن خطاياك وتؤمن بالمخلص المسيح؟